بالنظر إلى وجه الله تعالى، وإن كانت الآية في سورة (ق) تعمُّ هذا وغيره؛ لأنه عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: مزيد على ما يشاءون، وفوق ما يتمنون.

٣- الآية الثالثة: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فقوله: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بمعنى: حَسَنة، من النَّضَارة، وهي الحُسن، وقوله في الثانية (ناظرة) من النَّظَر، ولذلك عُدِّيَتْ بـ(إلى)؛ والوجوه الناضرة إذا عُدِّي نظرها بـ(إلى) تعيَّن أن يكون النظر بالعين؛ لأننا لا نعلم شيئًا يَرى في الوجه إلا العين، فتعين أن تكون ناظرة إلى الله عزَّ وجلَّ بالعين.

٤- الآية الرابعة: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، يريد بذلك: الفُجَّار، قال الإمام الشافعي رحمه الله: وإذا حَجَب في حال الغضب، كان لا يَحْجُب الآخرين في حال الرضا، وهذه دلالة واضحة، وهي دلالة بالمفهوم.

٥- الآية الخامسة قوله تعالى -في نفس السورة- أعني: سورة المطففين ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، فإن قوله: ﴿يَنظُرُونَ﴾ محذوفة المعمول، فتعُم كل ما ينظرون إليه من النعيم.

وإذا قارنَّا هذا بما في أول السورة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فنقول: من جملة ما ينظرون إليه: الله عزَّ وجلَّ.

٦- قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؛ لأن نفي الإدراك دليل على أصل ثبوت الرؤية.

فهذه ست آيات في القرآن بعضها صريح، وبعضها دون ذلك.

أما الأحاديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم فقد نقلها عالم من الصحابة رضي الله عنهم، وعالم من التابعين، متواترة بلفظ صريح، لا يَمْتَرِي فيه أيُّ إنسانٍ.

فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّكُمْ سَوْفَ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١)، أو: «**لَا تَضامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢)، أو: «**لَا تَضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٣)، والأحاديث في هذا كثيرة، وسيسوق المؤلف رحمه الله ما تيسَّر منها.

وإذا ثبت بالدليل الأثري أن الله تعالى يُرى، فما الذي يُمكن أن يُعارَض به؟

قالوا: يمكن أن يعارض بالدليل النظري، وبالدليل الأثري أيضًا:

أما الدليل الأثري: فإن موسى صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، و(لن) -حسب دعواهم- تفيد التأبيد، فيكون هذا النفي نفيًا مؤبدًا، يعني: لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن التأبيد يقتضي الأبديَّة.

وقالوا: إن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، وقد استدلت أم المؤمنين عائشة بهذه الآية على أن النبي صلَّى الله

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾، رقم (٤٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم (٦٣٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا﴾، رقم (٧٤٣٧)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٨).

عليه وعلى آله وسلَّم لم يَرَ ربه، فيكون نفي الإدراك هنا، بمعنى: نفي الرؤية، أي: لا يرى، فهذا دليلهم الأثري.

أما الدليل النظري: فقالوا: إنا إذا أثبتنا أن الله سبحانه وتعالى يُرى؛ لزم أن يكون جسمًا، وإذا كان جسمًا؛ لزم أن يكون حادثًا مُشْبِهًا للحوادث، ومعلوم أن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

والقاعدة في باب المناظرة أن الإنسان -عند الجدل والمناظرة- يَلزَمه شيئان:

الشيء الأول: أن يثبت ما ادَّعاه، **والشيء الثاني**: دفع مُدَّعى خصمه، وذلك ليُثبت الشيء من دون معارضة، وبغير ذلك لا يتم التغلب على الخصم.

نحن أثبتنا ما قلنا، بأن الله سبحانه وتعالى يُرى في الآخرة بدلالة الكتاب، والسُّنة المتواترة، وإجماع الصحابة رضي الله عنهم حيث لم يَرِد عن واحد منهم أنه نفى أن الله تعالى يُرى.

أما الإجابة على مُدَّعى الخَصْم فسهلة جدًّا: فإن قول الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لا يعني بذلك أنه لن يَرَاه أبدًا، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]، فدلَّ هذا على أنَّ الرؤية المنفيَّة في الدنيا؛ لأنه طلب الرؤية الآن، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، ولكنه لم يستقر لما تجلى ربُّه عز وجل للجبل، بل جعله دكًّا، فعرف موسى عليه الصلاة والسلام أنه لن يتمكن إطلاقًا من أن يَرى الله عزَّ وجلَّ.

فإذا قالوا: هذا التقرير يخالف مقتضى مدلول (لن)؛ لأن مقتضاه التأبيد!

قلنا: هذه دعوى كاذبة على اللغة العربية، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٤-٩٥]، فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ فنفى تمنيهم له بـ(لن)، وأكد ذلك بقوله: ﴿أَبَدًۢا﴾، ومع ذلك قال الله تعالى عن أهل النار -عمومًا-: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، وهذا تمنٍّ وزيادة، فإنهم يدعون ليقض عليهم؛ لأن اللام لام الدعاء في قوله: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾؛ فتبين بهذا: أن (لن) لا تفيد التأبيد، لكنها تفيد تأبيد كل شيء بحسبه.

وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ثم عضدهم هذا الاستدلال بقول عائشة رضي الله عنها، فنقول: هذه الآية دليل عليكم، وليست دليلًا لكم؛ لأن نفي الإدراك دليل على أصل ثبوت الرؤية، ولو لم تثبت أصل الرؤية؛ لكان نفي الإدراك لغوًا يُنزَّه عنه كتاب الله عزَّ وجلَّ.

وأما اعتدادكم بقول عائشة رضي الله عنها، فإننا نقول: عائشة رضي الله عنها كغيرها من الناس، تخطئ وتصيب، فقد أنكرت أن المرأة تقطع الصلاة، واستدلت بأنها تنام معترضة بين يدي الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وهذا لا شك أنه اشتباه عليها في الدليل؛ لأن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم إنما أثبت بطلان الصلاة بالمرور، وعلى هذا فلا يصح أن يقاس المرور على الاضطجاع، أو الاعتراض بين يدي المصلي.

وأنكرت رضي الله عنها أن الميت يعذَّب ببكاء أهله، واستدلت بالآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، مع أن الحديث صريح وصحيح، واستدلالها بالآية استدلال ليس بجيد؛ لأن عذاب الميت في قبره بما نِيحَ عليه، أو ببكاء أهله

ليس عذاب عقوبة، لكنه عذاب تأذٍّ وتألُّم، فهو كقول النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ»[1]، مع أنه ليس عقوبةً.

فالمقصود: أن عائشة رضي الله عنها وهمت بالاستدلال بالآية -وهي قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾- على انتفاء الرؤية.

وكم لها من إصابة رضي الله عنها؟! وكم لها من أحاديث أَهْدتها لهذه الأمَّة؟! وكم لها من أفعال لا يعلمها إلا هي -ومن شاركها- من الأمور التي لا يطلع عليها الناس، والواقعة من رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم؟! فهي من أفقه الصحابة رضي الله عنها، ومن أكثرهم تحديثًا عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وكفى المرءَ نُبلًا أن تُعَدَّ مَعَايِبُه، ولكل جواد كَبْوَة، ولكل صارم نَبْوَة.

وأما الجواب عن استدلالهم النظري، فيقال: هذا الدليل النظري الذي عندكم -والذي تعارضون به النصوص- هو دليل باطل بلا شك؛ لأن العلماء رحمهم الله يقولون: القياس -وهو القياس الفقهي- إذا عارض النصَّ فهو فاسدُ الاعتبارِ، مطَّرح، فكيف بالأمر الغيبي الذي لا مجال للعقول فيه؟ فإنه يجب التسليم به.

ثم إن قولكم: إنه يلزم أن يكون الله تعالى جسمًا، فنقول: ما هذا الجسم الذي تطنطنون به، لتهدموا به ما جاء في الكتاب والسُّنة من صفات الله تعالى؟

إن أردتم أنه جسم مركَّب كتركيب الأجسام المخلوقة، التي يمكن انفصال الجسم بعضه عن بعض، ويمكن أن يفقد بفقد شيء منها، فهذا لا نوافقكم عليه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب السفر قطعة من العذاب، رقم (١٨٠٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل السفر، رقم (١٩٢٧).

وإن أردتم بالجسم أن الله عزَّ وجلَّ ذو ذات قائمة، وهو قائم بنفسه، متَّصف بما يليق به، يفعل، ويقول، وينزل، ويستوي، ويأخذ، ويقبض، فهذا حق؛ لأنه جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وهذا لا يلزم منه أن يكون مماثلًا للأجسام، فالأجسام متباينة مع أنها كلها مخلوقة، وإذا صحَّ تباين الأجسام المخلوقة، فالتباين بين الخالق والمخلوق من باب أولى؛ بل ممتنع غاية الامتناع، والمعنى: أنه إذا جاز في الأجسام المخلوقة أن تتماثل؛ فإنه لن يجوز أبدًا أن يتماثل الخالق والمخلوق.

والغريب أن هؤلاء يدندنون بهذا الدليل على إنكار صفات الله -والعياذ بالله- كلما أرادوا أن ينكروا شيئًا من الصفات، قالوا: لأن هذا يقتضي أن يكون جسمًا، فيجاب عن هذا الإيراد بالاستفصال السابق عن مرادهم بمعنى الجسم، مع أن اللفظ (الجسم) حادث.

قال بعض العلماء رحمه الله: مَن أنكر أن الله تعالى يُرى يوم القيامة، فنسأل الله تعالى أن يحرمه من هذه الرؤية، وهذه دعوة عليه بمقتضى قوله وكلامه.

يقول: إذا كنت لا تؤمن بهذا -مع دلالة النصوص عليها دلالة واضحة صريحة- فلا أراك اللهُ تعالى وجهَه، وكفى بذلك غَبْنًا أن يدَّعى عليه بشيء هو يكرهه، ولكنه يعتقده، ولا ريبَ أنَّ كل إنسان يُسر إذا قيل له: سترى الله عز وجل، لكن الذين ينكرون ذلك، لا يُسرون بهذا، نسأل الله العافية.

فالحاصل: أننا نعتقد، ونؤمن بأن الله تعالى يُرى يوم القيامة، ونشهد بذلك بين يدي الخلق، من البشر، والجن، والملائكة أن الله تعالى يُرى يوم القيامة، وأن ذلك ثابت بكلام الله تعالى، وكلام رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وإجماع

الصحابة رضي الله عنهم إذ لم يُنقل عنهم حرف واحد أنهم أنكروا أن الله تعالى يُرى في الآخرة.

فهذه عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، نسأل الله وإياكم أن يجعلنا منهم، وأن يميتنا عليها، وأن يهدي من ضلَّ في هذه المسألة، حتى يعتقد ما دل عليه الكتاب والسُّنَّة.

وسنذكر الآن إجابة المعترضين عن أدلة القائلين بوجوب إثبات الرؤية:

أما قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فالمراد: إلى ثواب ربها ناظرة، وليس إلى ربها.

فنقول لهم: هذا خلاف الأصل، ودَعوى أن هناك كلمة مُقْحَمة، دَعوى لا دليل عليها، وهل يمكن للإنسان أن يقابل ربَّه يوم القيامة، والله تعالى يقول عن هذه الوجوه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ثم يقول هذا: إلى ثواب ربها ناظرة؟ لا يمكن.

وقالوا: إن معنى (ناظرة) هنا، أي: منتظرة، تنتظر ثواب الله عزَّ وجلَّ، **فيقال**: هذا غلط على اللغة العربية؛ لأن النظر إذا كان بمعنى الانتظار فإنه يتعدَّى بنفسه، مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل:٣٣]، أي: ما ينتظر هؤلاء إلا أن تأتيهم الملائكة، ومثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣].

وأجابوا عن قوله تبارك وتعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، بأنه ليس فيها التصريح بأنهم ينظرون إلى الله، **فنحن نقول**: ينظرون ما أعدَّ الله تعالى لهم مِن النَّعِيم، ولقد علمتم أن أول ما يدخل فيها النظر إلى وجه الله؛ لقوله في أول السورة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

ويجيبون عن تفسير النبي صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، بأنها النظر إلى وجه الله تعالى: أي: النظر إلى ثواب الله، أو الانتظار لله عزَّ وجلَّ وما يعطيهم من الثواب، وكل هذا -كما ترى- خلاف ظاهر النصوص.

أما الأحاديث، فيجيبون عن قوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»[1] يقولون: هذه رؤية اليقين، وليست رؤية التَّعْيين بالعين، فيقال لهم: إن اليقين ثابت أولًا في الدنيا قبل دخول الجنة، قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم -في الإحسان-: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2]، فما هو اليقين الذي تجدد في الآخرة؟.

وعلى كل حال: فإن لهم أجوبة، لكنها أجوبة باردة، لا تُحِقُّ حقًّا، ولا تُبْطِلُ باطلًا.

* * *

١٨١- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ -قَالَ:- يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟! -قَالَ:- فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

١٨١- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَزَادَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٥٤٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨).

باب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ

١٨٢ - حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟»؛ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»؛ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ! هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؛ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ! وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟!». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا -مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى

أَنْ يَرْحَمَهُ- مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ؛ حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، وَقَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْـجَنَّةِ دُخُولًا الْـجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟! فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ؛ وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْـجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْـجَنَّةِ؛ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟! فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ؛ فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْـجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْـجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْـجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْـخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِي الْـجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْـجَنَّةَ؛ فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ! فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا؛ حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»؛ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْـجَنَّةِ دُخُولًا الْـجَنَّةَ.

١٨٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْـمُسَيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا؛ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ.

١٨٢- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم؛ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْـجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ؛ فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[١].

---

[١] سبب هذا الحديث أن بعض الصحابة رضي الله عنهم سأل رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: هل نرى ربنا يوم القيامة؟.

وقد كان النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أحيانًا، إذا سئل عن شيء استطرد في غيره مما يَظن أن الإنسان يحتاج إليه، كما سئل مرة عن ماء البحر: هل

يتوضأ به، فقال: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ»[١]، مع أن الميتة لم يقع عنها سؤال، ولكن هذا من فضله وَجُوده صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في زيادة العلم، فيما يظن أن السائل يحتاج إليه.

وقوله: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: يَا رَسُولَ الله! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟»».

وفي لفظ: «هل تَضَارُّون» والفرق بينهما:

أن قوله: «هل تُضَارُّون» يعني: هل أحد يُضاركم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ويجوز: «هل تُضَارون» أي: هل تُضَارون غيركم.

وأما على لفظ: «تَضَارُّون» أي: يَضُرُّ بعضكم بعضًا في رؤية القمر ليلة البدر، قالوا: لا؛ لأن كل واحد من الناس يرى القمر في ليلة البدر في منزله، وفي أي مكان فسيح.

وإذا كان الناس يرون القمر ليلة البدر كل في منزله من غير مضارة -وهو مخلوق من مخلوقات الله، من أصغر المخلوقات- فما بالك برؤية الله عزَّ وجلَّ؟.

وقوله: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟»؛ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله!»، فضرب صلَّى الله عليه وسلَّم مثلًا بالقمر ليلة البدر، ومثلًا بالشمس، والمراد بهذا المثل، ليس تمثيل المرئي بالمرئي؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء، لكن

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، رقم (٩٦)، وأبو داود: كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، رقم (٨٣)، والنسائي: باب الطهارة، باب ماء البحر، رقم (٥٩)، وابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء بماء البحر، رقم (٣٨٦).

المراد: تمثيل تحقُّق الرؤية بتحقُّق الرؤية، يعني: كما ترون هذا حقًّا لا إشكالَ فيه، فإنكم ترون الله حقًّا يوم القيامة لا إشكال فيه.

وقوله: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» أي: كما ترون القمر، وكما ترون الشمس.

وقوله: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ» الشمس الثانية، مفعول: «يَتَّبِعُ».

وقوله: «وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ»، وقوله: «الطَّوَاغِيتَ» أعمُّ، وهؤلاء هم الكفار الخُلَّص يتبعون أوثانهم، التي يعبدونها من دون الله عزَّ وجلَّ.

ثم يبقى المسلمون المؤمنون، والمسلمون المنافقون، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ! هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا»، وهذا من الامتحان والاختبار، فيأتيهم الله عزَّ وجلَّ إتيانًا لا نستطيع أن نكيِّفَه؛ لأن صفات الله تعالى الفعلية والذاتية والخبرية لا يمكن أن تكيَّف.

وهل كان الناس يعرفون صورة الله تعالى؟ يعرفون: أنه ليس كمثله شيء، فيأتيهم على صورة على غير هذا الوصف، أو هل المعنى: أنه يتغير، أو أن يتغير نظر الناس، بمعنى: يخيَّل إليهم على أنه بصورة غير صورته؟ الظاهر: أن المراد الثاني، وإن كان هذا خلاف ظاهر اللفظ؛ لكن لأن الله تعالى لا يتغير فيُحمل على هذا.

والحاصل: أنهم يرونه على صورة معينة في أول الأمر ثم على صورته التي هي عليه عزَّ وجلَّ.

وقوله: «فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا؛ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، المجيء ذكرنا أنه حقٌّ، ولا يجوز أن نخوض في كيفيته، ولا يجوز تأويل هذا المجيء وصرفه عن ظاهره إلا بدليل، ومن ذلك اختلاف العلماء رحمهم الله من أهل السُّنَّة في حديث: «إِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1]، على قولين:

القول الأول: أنه على حقيقته، وأننا إذا أثبتنا أن الله تعالى يجيء، فما المانع من أن يكون مجيئه على وجه الهرولة؟.

القول الثاني: أن المراد بذلك: إسراع الله تعالى بالمجيء إليه، قالوا: لأن الإنسان لا يأتي إلى ربِّه هرولة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّه وَهُوَ سَاجِدٌ»[2]، والساجد لا يهرول، فقالوا: فقرينة الحال القطعية، تدلُّ على أن المراد بذلك سُرعة إقبال الله عزَّ وجلَّ على عبده، وأن جزاءَه على العمل أكبر من العمل.

وأصحاب القول الأول يقولون: يمكن أن يأتي الإنسان إلى ربه هرولةً، فمثلًا: يأتي إلى المسجد يمشي ويهرول، لكنَّ هذا التأويل يضعِّفه أنَّ الهرولة ليست من الأمور المطلوبة، حتى يثاب الإنسان عليها أكثر مما لو أتى يمشي، **فالمهم**: أن هذا لا يعتبر تأويلًا مادامت القرينة الحالية القطعية دالَّة عليه.

وكذلك -أيضًا- حديث: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٢).

الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»[١]، هذه قطعًا ليس المراد ظاهرها؛ لأنَّ يَدَ الإنسان حادثةٌ لم تكن، ولا يمكن أن يكون الله عزَّ وجلَّ جزءًا من بشر.

ولعل من المناسب أن نشير إلى أنواع التأويل ليتضح المراد، فنقول: **التأويل ينقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: تأويل لا وجهَ له إطلاقًا، ولا مَسَاغَ له في اللغة، فهذا التأويل في درجة بمنزلة الإنكار، ومنه -على رأي بعض العلماء رحمهم الله- تأويل رؤية الله عزَّ وجلَّ، فقالوا: من أوَّل رؤية الله، فهذا بمنزلة المنكر لها؛ لأن الأدلة فيها صريحة، وواضحة أنها رؤية بالعين حقيقة.

القسم الثاني: تأويل له وجهه في اللغة العربية، لكنه مرجوحٌ، فهذا لا يصل بصاحبه إلى حدِّ الكفر.

ولهذا نقول: إنكار ما دلَّت عليه النصوص من الصفات ينقسم إلى قسمين: إنكار تأويل، وإنكار جحد.

فإن كان إنكار جحد؛ فهو كفرٌ، بحيث إذا قال قائل: أنا أقول: إن الرسول قال كذا، لكنه ليس صحيحًا، فهذا كافر.

وأما إنكار التأويل، ففيه تفصيل: ما لا يمكن أن يؤول، فتأويله كالإنكار، وما يمكن أن يؤول فتأويله ليس كالإنكار، ويكون صاحبه بحسب الذي في قلبه، والله تعالى هو الذي يحاسب الناس.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢).

وقوله: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ» يعني: أن الصراط -الذي يعبر الناس عليه إلى الجنة- يضرب على جهنم، أي: فوقها، وهذا الصراط قيل: إنه صراط معتاد، أي: أنه طريق واسع، وقيل: إنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، وأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فهو قادر على أن يضع هذا الصراط بهذه الحال، ويمر عليه جميع الناس.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»؛ لأن الأمر خطير، وإذا كان هذا حال الرسل -أي: دعاؤهم-، الذين هم أشد الناس أمنًا من عذاب الله، فمن دونهم أشد خطرًا.

وقوله: «وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟!». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ»، ضرب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم مثلًا لهذه الكلاليب بشوك السَّعدان، وهو شجر معروف، فيه شوك معقَّف، وهو شوكٌ قويُّ النُّفوذ.

فشبه الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم هذا الذي على الصراط من هذه الكلاليب بهذا الشوك، إلا أنه قال: «لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ»، فإن ما في الآخرة، وإن شابه ما في الدنيا، أو وافق ما في الدنيا من الأسماء فإنه لا يوافقه في الحقيقة.

فمثلًا: في الجنة نخل، ورمان، وفاكهة، ولحم؛ وما أشبه ذلك، لكن لا يكون مثل ما في الدنيا، إذ ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط.

وقوله: «فَمِنْهُمُ الْـمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْـمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى»، قوله: «فَمِنْهُمُ الْـمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ» هذه العبارة فيها إشكال، ولا شك أن قوله: «فَمِنْهُمُ الْـمُؤْمِنُ» خطأ؛ لأن المؤمن لا يبقى بعمله في النار، بل إذا لم يكن عليه ذنوب؛ فإنه لا يدخل النار أصلًا، لكن الصواب: الموبَق، يعني: الذي أهلك، وهَلك بذنوبه، بقي بعمله أي بقي في النار.

وقوله: «حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ»، قوله: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ» استشكلها بعض العلماء رحمهم الله، وقال: إن الله تعالى ليس مشغولًا حتى يفرغ! **فيقال**: إن أفعال الله سبحانه وتعالى تأتي شيئًا فشيئًا، فإذا انتهى فعلٌ جاء بعده فعل آخر، وليس المعنى أن الله عز وجل يَشْغَلُه شيء عن شيء، فلو شاء الله تعالى لفعل كل شيء في لحظة واحدة، ولكنه جلَّ وعلا يفعل الأفعال بمشيئته، فإذا انتهى فعلٌ أراده، أتى بالفعل الثاني، وليس في ذلك نقصٌ بوجه من الوجوه.

ويدلُّ لذلك: أن الله عزَّ وجلَّ يخاطب جميع المصلين في كل أقطار الدنيا، فكل واحد إذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: «حَمِدَنِي عَبْدِي»، فلا تَشْغَلُه محاورة مصلٍّ عن مصلٍّ آخرَ، وهذا أمرٌ لا إشكالَ فيه.

لكنه سبحانه وتعالى يفعل أفعاله مرتَّبة، فإذا فرَغ من فِعْلٍ أَرادَ الفعلَ الآخر، وهذا ليس فيه نقص؛ لأنه عزَّ وجلَّ بحسب حكمته وإرادته يفعل الفعل أولًا، ثم يفعل الفعل الثاني من أجل أن تترتب المفعولات، كما أنه يأتي بالليل، ويأتي بعده بالنهار، وكذلك يخلُق الأجِنَّة جنينًا بعد جنين، ويخلُق الجنين طَوْرًا بعد طَوْر، ولو شاء لخلقه بلحظة واحدة، ومَن عرف أن لله تعالى أفعالًا تتعلق بمشيئته، لم يَرِد على قلبه هذا الإشكال.

وقوله: «وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا -مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ- مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ»، هؤلاء ليس عندهم عمل كثير، ليس عندهم إلا عمل قليل، وهو الصلاة -مع التوحيد والإخلاص- وهؤلاء يلقون في النار، ولكنهم يعذبون فيها بقدر ذنوبهم، ثم يرحمهم الله عزَّ وجلَّ، فيأمر الملائكة أن تخرجهم.

وقوله: «حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ»، فيبقى هؤلاء قد أكلتهم النار إلا مواضع السجود، وهي سبعة، وفي هذا يقول بعض المتوسلين إلى الله عزَّ وجلَّ[1]:

يَا رَبِّ أَعْضَاءَ السُّجُودِ عَتَقْتَهَا ... مِنْ فَضْلِكَ الوَافِي وَأَنْتَ البَاقِي
وَالعِتْقُ يَسْرِي فِي الغِنَى يَا ذَا الغِنَى ... فَامْنُنْ عَلَى الفَانِي بِعِتْقِ البَاقِي

والمعنى: أن الرجل إذا أعتق جزءًا من عبده سَرَى العتق إلى الجميع، فهو يتوسل إلى الله عزَّ وجلَّ بأن يقيه نار جهنم، حيث إن أعضاء السجود لا تأكلها النار.

وقوله: «فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا» أي: احترقوا.

وقوله: «فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ

(١) البيتان لعلي بن محمد، والد الحافظ ابن حجر رحمهما الله، ينظر: إنباء الغُمْر (١/ ١٧٤)، فتح الباري (١١/ ٤٥٧).

النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا»، ومعنى: «قَشَبَنِي رِيحُهَا» أي: آذاني رِيحُ النار، وفي هذا دليل على أن النار لها رائحة كريهة؛ لأن وقود النار: الناس والحجارة، فستكون هناك رائحة كريهة مما سيحترق فيها من الأجسام والحجارة.

وقوله: «فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟! فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ؛ وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْـجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْـجَنَّةِ؛ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ!»، يقول الله سبحانه وتعالى ذلك على سبيل الإِينَاس له، وليس على سبيل العتاب؛ لأنه لو كان على سبيل العتاب ما أعطاه سُؤْلَه؛ لأنه لو كان ما فعله هذا الرجل مغضِبًا لله تعالى لم يعطه إياه؛ لأن الله عز وجل لا يثيب إلا من أطاع.

وقوله: «فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو اللهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟! فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ؛ فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْـجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْـجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ -أي: انفتحت- الْـجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْـخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْـجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْـجَنَّةَ».

وهذه هي طبيعة الإنسان، إذا أُعطي شيئًا طلب ما فوقه، حتى تنتهي رغبته.

وفي هذا الحديث: إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ، وهو من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته، وهو ضحك حقيقي.

ولقد ورد في عدة أحاديث، منها هذا الحديث، ومنها قوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «**يَضْحَكُ اللهُ لِرَجُلَيْنِ، يَقتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ**»(١)؛ هذا الضحك حقيقة عند السلف، وعند أئمة أهل السُّنَّة رحمهم الله، ولكنه ليس حقيقة عند من يقول: إن الله تعالى لا تقوم به الأفعال الاختيارية، ويفسرون الضحك بلازِمِه، وهو الثواب، ويقولون: هذا كناية عن الرضا المستلزِم للثواب، ولا شك أن هذا تحريف للكَلِم عن مواضعه، وأيُّ فرقٍ بين أن نُثبت لله تعالى ذاتًا لا تشبه الذوات، أو أن نثبت له ضحكًا لا يشبه ضحك المخلوقين؟! فهو ضحك يليق بجلاله وعظمته، فعلينا أن نؤمن به.

وقوله: «**فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ!**» الهاء هنا للسَّكْت، والأصل (تمنَّ)، لكن تأتي هاء السَّكْت فيما إذا كان في آخر الكلمة، وهي موجودة في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩].

وقوله: «**فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**»، والمعنى: انقطع كل ما يتمنَّاه، وكل ما تبلغه نفسه من الأماني، يعطيه الله تعالى، ويقول: «**ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**».

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان...، رقم (١٨٩٠).

ثم قال: «قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا؛ حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»؛ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ» يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْـجَنَّةِ دُخُولًا الْـجَنَّةَ».

***

١٨٣ - وَحَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «نَعَمْ»؛ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟! وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟!»؛ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا؛ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ؛ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَـمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَـهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ؛ فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا؛ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَـهُمْ: مَا

كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله؛ فَيُقَالُ لَـهُمْ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ؛ فَيُقَالُ لَـهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...[١].

---

[١] هذه القطعة من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بيَّن فيها النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حين سئل: هل نرى ربنا؟ بأننا نَرَاه من غير مُضارَّة، كما نرى الشمس في الظهيرة، ليس معها سحاب، وكما نرى القمر -أيضًا- ليلة البدر ليس معه سحاب.

وهذا نصٌّ صريحٌ واضحٌ أن المراد بذلك الرؤية بالعين، وليست رؤية القلب.

وفيه -أيضًا-: أن الله سبحانه وتعالى -إذا كان يوم القيامة- أذَّن مؤذن بأمر الله تعالى: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا تساقطوا في النار؛ لأن هذه الأصنام والأنصاب تذهب إلى النار فيتبعونها، حتى يتساقطون في النار، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، ثم قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء:٩٩].

وقوله: «فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَـمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ»؛ وقوله: «وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ» لا وجه لها؛ لأن غُبر أهل الكتاب، يعني: بقاياهم، جمع: غابِر، بمعنى: الباقي؛ كقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف:٨٣]، وإذا تقرَّر أن الاستثناء هنا مفرَّغ، وإعراب (مَن) فاعل،

فإنه أن يكون قوله: «وَغُبَّرُ» بالرفع، يعني: وبقايا أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ وإنما قلت هذا؛ لأنه لو كانت معطوفة على (بَرٍّ)، لاقتضى هذا أن يكون هؤلاء الغبر يعبدون الله، وهذا فيه إشكال.

وإنما أبقى الله سبحانه وتعالى غُبَّر أهل الكتاب؛ لأنهم يعبدون بشرًا صالحًا، فاليهود يعبدون عُزيرًا ويقولون: هو ابن الله! والنصارى يعبدون المسيح ويقولون: هو ابن الله! وهذان (عُزيرٌ، والمسيحُ) لا يُذهبُ بهما إلى النار، بخلاف الأنصاب والأزلام؛ إذ تكون أمام عابديها فتَذهب بهم إلى النار، أما عزير والمسيح فلا يمكن أن يُذْهَب بهما إلى النار، ولهذا يَبقى هؤلاء (اليهود والنصارى) حتى يوبَّخوا توبيخًا خاصًّا بهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَـهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله؛ فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ»؛ هُمْ ذكروا شيئين، فكُذِّبوا في شيء، وأقرُّوا على شيء، قالوا: إنهم يعبدون عزيرًا، وقالوا: هو ابن الله، وهي الثانية، فيقال لهم: كَذَبتم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد.

وأما قولهم: نعبد عزيرًا فلم يكذِّبوا عليه، بل أقروا، وهكذا الحق يقبل من كلِّ مَن نطق به، والباطل يُرَدُّ مِن كُلِّ مَن نطق به، أرأيتم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف:٢٨]، فأبطل قولهم: إن الله أمر بها، وسكت عن قولهم: وجدنا عليها آباءَنا؛ لأنه حقٌّ؛ والحق يُقبل مِن كل مَن جاء به، والباطل يُرَدُّ مِن كل مَن جاء به.

وقوله: «مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ»؛ «مِنْ صَاحِبَةٍ» مفعول لـ«اتَّخَذَ»، ولكن دخل عليه حرف الجر الزائد لتأكيد النفي.

وقوله: «فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا؛ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ».

السراب: ما يُرى في الصحراء كأنه غَدِير أو نَهر وليس كذلك، فيظنون أنه حق، فإذا هو النار، والعياذ بالله، فيتساقطون فيها.

وقوله: «ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؛ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ»، فهذه حالهم -والعياذ بالله-.

فصار الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يحبَسون، بل يُذهب بهم إلى النار خلف ما يعبدون من الأصنام والأنصاب، وهؤلاء كل الكفار ما عدا أهل الكتاب.

القسم الثاني: يحبسون ثم يوبَّخون على ما ادَّعوه، ثم يُؤمر بهم إلى النار على وجه الخداع لهم -والعياذ بالله-؛ لأنهم سوف يذهبون إلى النار التي أشير إليهم عليها، يذهبون وكلهم أمَل أنهم سوف يشربون، ويزول عنهم العطش؛ لأنهم رأوها كأنها سراب.

والقسم الثالث: سيأتي ذكره في الحديث.

فإن قيل: من كان يعبد ما فيه روح؛ كالهندوس الذين يعبدون البقر، أتتبع البقر كالأنصاب والأزلام، فتلقى في النار أو هذا مستثنى؟.

فالجواب: البقر أصلها تحشر على ما هي عليه، ثم يقال لها: كوني ترابًا، فإن كانت التي تعبد من دون الله تحشر، وتستثنى من أن تكون ترابًا، فلا يَبْعُد أن الله سبحانه وتعالى يلقيها في النار؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يستثن ممن يُعبد من دونه في دخول النار إلا مَن سبقت لهم من الله الحسنى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]، ولا يَبْعُد أن تعذَّب البهيمة امتهانًا لصاحبها، ومن يدَّعي أنها إله، كما أننا -مثلًا- في الدنيا نحرق أموال الغالِّ، وكذلك نحرق دكان بائعي الخمر، وما أشبه ذلك.

ولكن الذي يظهر لي -والله أعلم- أنها لا تدخل النار، وأنها تكون ترابًا مع غيرها مما لا يعبد من دون الله.

وأما إلقاء الشمس والقمر في نار جهنم فليس من باب القياس -كما ظنه بعضهم- بل نأخذه من الحديث الذي معنا: من كان يعبد شيئًا من الأنصاب والأزلام فإنه يتبعه.

* * *

...حَتَّى إِذَا لَـمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟! تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ؛ قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَـمْ نُصَاحِبْهُمْ؛ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ؛ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ؛ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ

طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا...[١]

---

[١] هذه القطعة من الحديث، ظاهرها أنهم يرون الله تعالى ثلاث مرات:

المرة الأولى: على الصورة التي يعرفون.

والمرة الثانية: على غير الصورة التي يعرفون.

والمرة الثالثة: بعد أن يرفعوا من السجود على الصورة التي يعرفون.

ولا معارضة بينه وبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ لأن هذا فيه زيادة لا تنافي الأول.

أما قوله: «فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» فالمراد: ساق الله عزَّ وجلَّ، وفي الحديث رواية أخرى: «فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ»(١).

فقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ في هذه الآية قولان للسلف رحمهم الله:

القول الأول: أن المراد به الشدة، وهو مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مشهورٌ عنه.

القول الثاني: أن المراد عن ساق الله عزَّ وجلَّ.

وكلاهما له وجه، أما الأول: فوجهه أن الله تعالى لم يضف الساق إلى نفسه، وإذا لم يضفها إلى نفسه، فإنه لا يحلُّ لنا أن نضيفها إليه؛ لأن هذه الأمور خبرية، يقتصر فيها على ما ورد.

---

(١) أخرجها البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، رقم (٧٤٣٩).

بخلاف اليد؛ لأن الله تعالى أضافها إلى نفسه، وبخلاف الوجه، وبخلاف العين، وبخلاف الأصابع، فما أضافه الله تعالى إلى نفسه من هذه الصفات الخبرية؛ وجب علينا أن نؤمن به على أنه من صفات الله عزَّ وجلَّ، وما لم يضفه فيبقى على ما هو عليه، لا نضيفه إلى الله.

ويكون معنى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي: يوم تزول الشدة، أو يوم تنزل الشدة.

فمَن قال: يوم تنزل الشدة قال: لأن من عادة العرب أن الإنسان إذا وقع في شدة، رفع ثوبه عن ساقه؛ ليشتد في الهرب منها؛ ومن قال: تُزَال الشدة: قال: أنَّ (يُكْشَف) بمعنى: يُزَال.

أما القول الثاني في الآية، فيقولون: المراد بالساق ساق الله عزَّ وجلَّ.

ولا شك أن سياق حديث أبي سعيد رضي الله عنه مع سياق الآية يجتمعان، فإنك إذا تأملت الآية؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٢-٤٣]، ثم طبَّقت الآية على ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه؛ لتبين لك أن السياق واحد، وأن المراد بالآية في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي: في يوم يكشفُ عن ساقٍ هي ساق الله عزَّ وجلَّ.

ولا ينبغي لنا أن نَشْمَئِزَّ من إثبات الساق لله تعالى، فنقول: الساق أثبته الله لنفسه كما أثبت القَدَم، وأثبت الرِّجْل، وأثبت الوجه، وأثبت العين، وأثبت اليد، وأثبت الأصابع، ولا مانع؛ لأنا نقول: إن هذه صفات لا تماثل صفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين.

وفي هذا الحديث: دليل على أنَّ مَن كان مخلصًا لله في سجوده -في الدنيا- يسَّر الله له السجود في الآخرة، ومَن لا يسجد إلا رياء وسمعة -والعياذ بالله- فإنه لا يُيَسَّر له ذلك، ويبقى ظهره طبقًا واحدًا، إذا أراد أن يسجد انكفأ على قفاه.

***

...ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ، مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَـهَا: السَّعْدَانُ؛ فَيَمُرُّ الْـمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْـخَيْلِ وَالرِّكَابِ؛ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْـمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لله فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ لله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ؛ فَيُقَالُ لَـهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ؛ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ؛ فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَـمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَـمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَـمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»[١].

---

[١] هذه القطعة من هذا الحديث فيها أن الله تعالى يكرم مَن شاء من

المؤمنين بقبول شفاعتهم، ويأمرهم أن يذهبوا إلى من في النار، فيخرجون هؤلاء، ففيها: إكرام هؤلاء الذين أُذن لهم بالشفاعة. وفيها: رحمة أولئك المشفوع لهم، وهذا من كرم الله سبحانه وتعالى على هؤلاء وعلى هؤلاء.

* * *

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَـمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْـمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْـمُؤْمِنُونَ، وَلَـمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَـمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْـجَنَّةِ؛ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ»؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ!! قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْـخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْـجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الله الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْـجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْـجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَـمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[١].

---

[١] هذه القطعة فيها أن الشفاعة تكون من الملائكة والنبيين والمؤمنين عمومًا، وهذه هي الشفاعة العامة التي تكون للنبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ولغيره من النبيين، والمؤمنين، والملائكة.

وأما الشفاعة الخاصة، فهي التي يشفع فيها النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم إلى الله عزَّ وجلَّ للخلق أن يقضي بينهم.

وأكثر الأحاديث جاءت في الشفاعة في أهل النار، وإنما أكثرت الروايات في هذا النوع من الشفاعة؛ لأنه هو الذي وقعت فيه المعركة بين الخوارج والمعتزلة من جهة، وبين أهل السُّنة من جهة أخرى؛ لأن الخوارج والمعتزلة لا يرون أن هؤلاء لا تنفع فيهم الشفاعة؛ لأنهم من أهل الكبائر، فهم مخلدون في النار، والسلف رحمهم الله يرون أنهم تنفع فيهم الشفاعة، ولهذا أكثرَ نَقَلةُ الحديثِ مِن نقل هذا النوع من الشفاعة.

***

قَالَ مُسْلِمٌ: قَرَأْتُ عَلَى عِيسَى بْنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ الْمِصْرِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الشَّفَاعَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: أُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْكَ؛ أَنَّكَ سَمِعْتَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ لِعِيسَى بْنِ حَمَّادٍ: أَخْبَرَكُمُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَنَرى رَبَّنَا؟ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَحْوٌ**»، قُلْنَا: لَا، وَسُقْتُ الْحَدِيثَ؛ حَتَّى انْقَضَى آخِرُهُ، وَهُوَ نَحْوُ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: «**بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا قَدَمٍ قَدَّمُوهُ**»: «**فَيُقَالُ لَـهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**»؛ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ؛ وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ: «**فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَـمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ...**»، وَمَا بَعْدَهُ، فَأَقَرَّ بِهِ عِيسَى بْنُ حَمَّادٍ.

١٨٣ - وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ؛ بِإِسْنَادِهِمَا، نَحْوَ حَدِيثِ حَفْصِ بْنِ مَيْسَرَةَ، إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ زَادَ وَنَقَصَ شَيْئًا[١].

---

[١] وهذا هو الغالب في الأحاديث الطويلة، أنها يقع فيها زيادة ونقص من الرواة، أو تغيير كلمة، أو تقديم أو تأخير، ولو كان المَخْرَج واحدًا، لاسيما الذين يحدِّثون من حفظهم؛ لأن الإنسان بشر، وتعتريه أحوالٌ تقتضي نسيانَه بعضَ ما روَى، وما أشبه ذلك، ولكن كل هذا لا يضر؛ لأن العُمدة على الأصل.

وهل قول أبي سعيد رضي الله عنه: بلغني، حكم الرفع؟.

فالجواب: أن هذا عند العلماء رحمهم الله يسمى: بلاغًا، فهو يلحق بالمرفوع؛ لأن أبا سعيد رضي الله عنه إذا قال: بلغني مستدلًّا به، فلابدَّ أن يكون على أصل، ولهذا حكم بعضهم على مثل هذه الصيغة بأنها مرفوعة حُكمًا، وأنها كقوله: يَبْلُغ به، أو يَرْفَعُه أو ما أشبه ذلك.

فعلى القول بأنه مرفوع حكمًا، فلا شك أنه قطعي، ويكون قوله: «دَحْضٌ، مَزِلَّةٌ» ليس صريحًا في أنه طريق واسع، ولو كان صريحًا لقلنا: إن حديث أبي سعيد رضي الله عنه يؤوَّل، فيقال: إنه في مشقته، أو في مشقة العبور عليه، كأنه أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف.

وأمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، ولا يقال: كيف يتصور أن الناس تمشي على شيء أدق من الشعر، وأحد من السيف؟!.

ثم إن ظاهر النصوص أنه طريق واحد، يعني: ليست جسورًا ينفذ الناس من كل جسر، فالله أعلم، وعلينا أن نؤمن، ونقول: العلم عند الله عز وجل.

باب إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ وَإِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ

١٨٤- وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: «**يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْـجَنَّةِ الْـجَنَّةَ -يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ-، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْـحَيَاةِ -أَوِ: الْـحَيَا- فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْـحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَـمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**».

١٨٤- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، أَخْبَرَنَا خَالِدٌ؛ كِلَاهُمَا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَقَالَا: فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَيَاةُ؛ وَلَـمْ يَشُكَّا. وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ: كَمَا تَنْبُتُ الْغُثَاءَةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ. وَفِي حَدِيثِ وُهَيْبٍ: كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِئَةٍ أَوْ حَمِيلَةِ السَّيْلِ.

١٨٥- وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ -يَعْنِي: ابْنَ الْمُفَضَّلِ-، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ -أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ- فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْـجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْـجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**». فَقَالَ

رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

١٨٥ - وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْـمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، بِمِثْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ: «فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». وَلَـمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ[١].

---

[١] هذا الحديث -أيضًا- كالذي قبله، فيه الشفاعة لأهل الكبائر، الذين دخلوا النار، وأنهم يموتون، ثم يحترقون، ثم يُحْيَوْن.

أما أهل النار -الذين هم أهلها- أعاذنا الله وإياكم منها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١٣].

ولا منافاة بين النفيين، وذلك أنهم لا يموتون ميتة يستريحون فيها، ولا يحيون حياة يسعدون بها، بل هم -والعياذ بالله- لا أحياء ولا أموات، ويتمنون أن يموتوا، يقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

وفي قوله: «انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ» إشارة إلى أن هؤلاء الشفعاء يعلمون ما في قلوب الذين في النار، وإن كان من أمور الغيب، ولكن الله تعالى إذا أراد شيئًا كان، كما قال للقلم: «اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(١)، مع أن علم هذا عند الله عزَّ وجلَّ، لكن الله إذا أمَرَ فلابدَّ أن يَقَع أمرُه الكوني؛ فإذا قال: «انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ» فلابدَّ أن يعرفوا ذلك، وإن كانت أعمال القلوب من أمور الغيب.

---

(١) سبق تخريجه (ص:٩٣).

وفي قول الصحابة رضي الله عنهم: كأن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قد كان بالبادية! ثم سكت عليه الصلاة والسلام، فهل هذا إقرار، أو كراهة لما قالوا؟.

الظاهر -والله أعلم- أنه إقرار، مع سعة صدر النبي عليه الصلاة والسلام، وإلا لو كان ممن يرى نفسه على الناس، ما رضي بهذا القول، كيف يأتي رجل فيصف الحِبَّة إذا خرجت -أول ما تخرج- فيقال له: كأنك بالبادية؟! لكن الرسول عليه الصلاة والسلام يتَّسع صدره لهذا، وهو صلَّى الله عليه وسلَّم قد كان يرعى الغنم، ويعرف شجر البادية، ويعرف كيف تخرج -أول ما تخرج-.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون واسع الصدر؛ لأن أغلب الناس الذين تضيق صدورهم بما يصنع الناس بهم، غالبهم دون مستوى الأحداث، أما من كان فوق مستوى الأحداث، ورأى نفسه بمكان يربأ بنفسه أن ينزل، فهو لا يهمه أن يقال له مثل هذا القول، وما أشبه ذلك.

* * *

باب آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا

١٨٦ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ؛ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ؛ قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «**إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْـجَنَّةِ دُخُولًا الْـجَنَّةَ؛ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْـجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! وَجَدْتُهَا مَلأَى؛ فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْـجَنَّةَ -قَالَ:- فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى! فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْـجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِـهَا؛ أَوْ: إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا -قَالَ:- فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي -أَوْ: أَتَضْحَكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ!**». قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْـجَنَّةِ مَنْزِلَةً[١].

---

[١] في هذا الحديث -من الفقه-: أنَّ الواجب يسقُط بالعَجز عنه، وذلك أن هذا الرجل ذهب فوجدها مَلْأَى -حسب ما خُيِّلَ له- وظن أنه لا يستطيع أن يدخل، إذ كيف يدخل في دار مملوءة؟ فرجع، ولم يعاتبه الله تعالى، ولكنه أمره ثانية، ثم أمره ثالثة، وفي الثالثة أخبره أنه سيجد مثل الدنيا وعشر أمثالها.

* * *

١٨٦- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ -وَاللَّفْظُ لأَبِي كُرَيْبٍ-؛ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: «إِنِّي لأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ فَادْخُلِ الْـجَنَّةَ -قَالَ:- فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْـجَنَّةَ فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْـمَنَازِلَ؛ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ؛ فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَّيْتَ وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا -قَالَ:- فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْـمَلِكُ!» قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

١٨٧- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ رَجُلٌ؛ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً[1]، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِيَ اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِـرِينَ[2]، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَـرَةٌ فَيَقُولُ:

---

[١] قوله صلى الله عليه وسلم: «وَيَكْبُو مَرَّةً» يعني: يسقط على وجهه.

وقوله: «وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً» يعني: تَلْفَح وجهَه، حتى يَسْوَد، كالسَّعَفة تلفحها النار.

وفي سياق الحديثين السابقين يقول: إنه يخرج حبوًا، أو زحفًا، ولا منافاة، فلعله في الأول يخرج زحفًا أو حبوًا، ثم يرى نفسه ذا قوة على القيام، فيقوم ثم يحصل له هذا التعثُّر.

[٢] الذي أعطاه الله: النجاة من النار، فالسلامة من الشرِّ مِنْحة.

أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا؛ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ؛ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا؛ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؛ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟! فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ؛ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا؛ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟! قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ! هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِيهَا؛ فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ!». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِّي: مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم؛ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ؛ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[١].

---

[١] في آخر هذا الحديث: «عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» إشكالٌ من جهة أنه قيَّد القُدرة بما شَاء، فهل يعني ذلك أنَّ ما لا يَشاؤه لا يَقْدِر عليه؟.

أخذ بذلك المعتزلة، فقالوا: إن الله لا يَقدِر على أفعال العباد، فلا يشاؤها، ولكن استدلالهم بهذا الحديث غير صحيح؛ لأن هذا قُيِّد على فعلٍ واقع؛ لأن هذا الرجل استبعد أن يحصل له هذا النعيم، فأراد الله تعالى أن يطمئنه بأنه على ما يشاء قادر، وأنه إذا شاء شيئًا فهو قادر عليه، هذا هو المعنى، وليس المعنى: أني قادر على ما أشاء، غير قادر على ما لا أشاء، هذا بعيد!!

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩]، فليس المعنى أنه على جَمْعهم إذا شاء قدير، وإذا لم يشأ فليس بقدير؛ بل هو قدير سبحانه وتعالى، شاء أم لم يشأ.

فالمشيئة هنا راجعة للجمع، يعني: إذا شاء جمعهم فإنه ليس بعاجز عنهم، وهذا -أيضًا- أي: هذا النعيم الذي حصل لهذا الرجل، إذا شاءه الله فهو قادر عليه.

أما إذا قلتَ: إن الله على كل شيء قدير، وعبَّرت عن هذا بقولك: (إن الله على ما يشاء قدير)، فلا يصح هذا؛ لأن الله سبحانه وتعالى أطلق وَصْفه في القدرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧]، وما أشبه ذلك، بخلاف القدرة المقيَّدة بشيء معيَّن، فإن معناها أنه لما شاءه لم يعجز عنه.

وهل ضحك الإنسان -إذا سمع هذا الحديث- من باب الاتباع؟.

فيقال: إذا صار الذي في قلبك، هو الذي في قلب الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حتى ضحك، أما أن تتعمد الضحك، فلا أظن هذا من الاتباع والسُّنَّة، بل هو شيء يدل على الفرح والسرور.

* * *

باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا

١٨٨ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ؛ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ! قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يُذْكُرْ «فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَا يَصْرِينِي مِنْكَ». إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَيُذَكِّرُهُ اللهُ سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ -قَالَ:- ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ -قَالَ:- فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»[١].

١٨٩ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الأَشْعَثِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ وَابْنِ أَبْجَرَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رِوَايَةً إِنْ شَاءَ اللهُ[١]. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُالْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ؛ أَنَّهُمَا سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يُخْبِرُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم.

---

[١] قول الحور العين: «الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ» الإحياء هنا بمعنى: الإيجاد، يعني: أوجدنا لك، أو خلقنا لك، وليس إحياءً بعد موتٍ.

[٢] في قوله: «إِنْ شَاءَ اللهُ» ذكرنا أنَّ السبب في ذلك -والله أعلم-: أنَّ الراوي نَسِي، ولكن ترجَّح عنده أنه حَصَل هذا، فقال: إن شاء الله.

١٨٩- قَالَ: وَحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْحَكَمِ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ، وَابْنُ أَبْجَرَ؛ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ -يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ- قَالَ سُفْيَانُ: رَفَعَهُ أَحَدُهُمَا؛ أُرَاهُ ابْنَ أَبْجَرَ، قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؛ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؛ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ؛ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ؛ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ؛ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ؛ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ؛ قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»؛ قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآيَةَ[١].

---

[١] هذا مثل ما سبق بالنسبة لنعيم الآخرة، وأنه أعظم، وأعظم، وأعظم إلى عشرة أمثاله من نعيم الدنيا، وهذا أدناهم.

وهل قوله: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ» يدل على أن مجموع ما أُعطي أحد عشر، أم المراد: لك هذا وتكميل عشرة أمثاله؟.

يحتمل هذا وهذا، وتكميل العشرة هو ظاهر اللفظ، وقد يكون له عشرة أمثاله مضافة إليه فيكون أحد عشر، لكن الاحتمال القوي أن المراد: لك هذا، وتكميل عشرة أمثاله.

أما أعلاهم، فيقول: «غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي» يعني بذلك: جنة عدن والفردوس.

وقوله: «بِيَدِي» فهو كقوله -في آدم عليه السلام-: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وعلى هذا فيكون الله عزَّ وجلَّ قد كتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وخلق آدم بيده، وما نعلمه بعد ذلك فإنما خلقه بالكلمة: (كن) فيكون.

وفي هذا الحديث: إثبات اليد لله عزَّ وجلَّ، وهذا ثابت في القرآن والسُّنَّة، وإجماع السلف.

وهي يد حقيقية، وليست يدًا معنوية، كما زعمه أهل التحريف، وقالوا: المراد باليد القدرة، أو القوة، أو النعمة، ولكننا نقول: هذا تحريف للكَلِم عن مواضعه، **والصواب**: أنها يد حقيقية موصوفة، بها يأخذ، ويقبض، ويهز، ونؤمن أيضًا أن له أصابع عزَّ وجلَّ.

ومثل هذه الصفات، تسمى الصفات الخبرية، وضابطها -أي: ضابط الصفات الخبرية-: هي التي مسماها بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء، فاليد لنا بعض وجزء من البدن، لكننا لا نقول مثل ذلك بالنسبة لله عزَّ وجلَّ، بل نقول: هي يد حقيقية، وهي من الصفات الخبرية التي لا يهتدي لها العقل.

ووجه ذلك: أن العلم، والحياة، والقدرة، وما أشبه ذلك، صفات معنوية يهتدي لها العقل؛ لأن العقل يعلم أن الخالق لابد أن يكون حيًّا عليمًا قادرًا، لكن هل يقول: لابد له من يد؟ لا، ولهذا أطلق عليها الصفات الخبرية.

وهذا لا يثبته أهل التعطيل من المعتزلة فما فوقهم في التعطيل، يقولون: لا يمكن أن يكون لله يد حقيقة؛ لأن هذا تجسيم، والتجسيم عندهم ممنوع؛ لأن الأجسام متماثلة -على زعمهم-.

إِذَنْ: فنثبت لله تعالى يدًا حقيقية، وهذه اليد لا تماثل أيدي المخلوقين، والدليل على ذلك السمع والعقل:

فأما الدليل السمعي: فيقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وأما الدليل العقلي: فإن الله تعالى أخبر أنه يقبض السموات والأرَضين بيده، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن السموات السبع، والأرضين السبع، بالنسبة ليد الله كخردلة في كفِّ أحدنا، فهل يمكن عقلًا -إذا آمنا بذلك- أن يكون هناك مماثل لهذه اليد؟ لا.

كما أن العقل -أيضًا- يمنع منعًا باتًّا أن يكون الخالق مماثلًا للمخلوق في جميع صفاته.

واعلم أن اليد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه: بالإفراد، والتثنية، والجمع.

فمثال المفرد: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

ومثال المثنى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].

ومثال الجمع: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١]، يعني: الإبل، والبقر، وما أشبهها.

وأما الاستدلال على الجمع بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا﴾ [الذاريات:٤٧]. فلا يصح؛ لأن معنى: (بأيد) أي: بقوة، والله تعالى لم يضفها لنفسه، و(أَيْدٌ) مصدر آدَ يَئِيدُ أَيْدًا، كباع يبيع بيعًا، ويدل على أنه أراد بها القوة، قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ:١٢] أي: قويَّة.